قوائم المحتويات متاحة على المجلات الأكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الإسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https: //djisrs.dws.gov.iq

آليات التوجيه التفسيري وترجيح المعنى في مناهج المفسرين: مقاصد البناء المجتمعي الرصينة في القرآن الكريم أنموذجاً

Mechanisms of Interpretive Guidance and Meaning Prioritization in Exegetical Methodologies: The Sound Objectives of Societal Construction in the Holy Quran as a Case Study.

م.د. إلهام محمد جاسم*
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات

Keywords

Exegetical mechanisms, commentators' methodologies, societal construction.

Abstract

This research examines the impact of exegetical orientation mechanisms and the methodologies of Quranic commentators on determining the structural meaning of the Quranic text. It tests these approaches through case studies of verses addressing the objectives of societal construction in the Holy Quran. The study's exegetical significance lies in grounding precise principles for preferring one interpretation over another, highlighting the dynamic value of Quranic linguistic structure and context, and demonstrating how commentators' methodologies are employed to derive Quranic solutions for societal ills—thereby enhancing the flexibility of the jurisprudence regarding stewardship (*istikhlaf*) and nation-building.
Keywords:

معلومات المقال

تاريخ المقال:
القبول: ٢٠٢٦/٧/١٤م
الكلمات المفتاحية:
آليات التفسير، مناهج المفسرين ، البناء المجتمعي.

ملخص

يتناول هذا البحث في أثر آليات التوجيه التفسيري ومناهج المفسرين في ترجيح المعنى البنائي للنص القرآني، واختبارها عبر نماذج تطبيقية من آيات مقاصد البناء المجتمعي في القرآن الكريم ، وتبرز فوائد البحث التفسيرية في تأصيل قواعد الترجيح الدقيقة، وإبراز القيمة الحركية للنظم والسياق، وكشف توظيف مناهج المفسرين في استنباط الحلول القرآنية لآفات المجتمع؛ مما يعزز مرونة فقه الاستخلاف وبناء الأمة.

***Assist. Prof. Dr. Ilham Mohammed Jassim**

Iilham75@gmail.com

١. المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه بإعجاز النظم وبلاغة البيان، وجعل تتبع وجوه دلالاته قانوناً لحياة الأمة وبناء المجتمعات، والصلاة والسلام على نبينا محمد الفصيح البليغ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: فإن البحث في "**آليات التوجيه التفسيري وصناعة ترجيح المعنى**" يُمثل ذروة السنام في الاختصاص الدقيق لعلوم القرآن وتفسيره؛ إذ لا يقف المفسر في هذا الفضاء عند مجرد النقل أو الشرح اللفظي، بل يمارس موازنة أصولية دقيقة بين الوجوه الدلالية والقرائن البيانية المتعارضة، ليوجّه النص نحو المعنى الأقوى والأرجح. ومن عظيم أسرار القرآن الكريم أن المفسرين وظفوا هذه الصنعة التفسيرية لخدمة "**مقاصد البناء المجتمعي الرصين**"، محولين الأحكام التشريعية والتوجيهات القصصية إلى قوانين بنيوية تحمي الأسرة، والمال، والعدالة العامة، بناءً على دلالة النص المرجَّحة لا على مجرد التأويل المرسل.

أولاً: مشكلة البحث

تتخلص المشكلة في السؤال المركزي الآتي: **كيف أسهمت آليات التوجيه التفسيري في صياغة "المعنى المرجَّح" لآيات البناء المجتمعي في مناهج المفسرين؟** وينبثق عن ذلك: كيف وظف المفسر قرائن النظم (السياق والقصص) والقرائن العقلية والإشارية للانتقال بالدلالة من فضاء الاحتمال اللغوي إلى القطع المقاصدي؟ وكيف تباينت وتكاملت مناهج المفسرين (الأثرية، والفقهية، والبيانية، واللغوية، والاجتماعية) في استخدام هذه الآليات لدفع الاختلالات وعلاج مشكلات المجتمع بنيوياً؟

ثانياً: أهمية البحث

تتركز أهمية هذه الدراسة في حقل الدراسات القرآنية والتفسيرية عبر ثلاثة محاور رئيسة:

١. أهمية توظيف آليات التوجيه التفسيري في ترجيح المعنى:

- **آلية التوجيه بالسياق:** تبرز قيمتها في كشف التلاحم بين سباق الآية ولحاقها، مما يُلزم المفسر بترجيح الوجوه التي تخدم المنظومة البنائية الكلية وتمنع شذوذ التأويل.
- **آلية التوجيه العقلي والتعليلي:** وتظهر في ربط الأحكام الجزئية بعللها وسننها الجارية؛ لترجيح المعنى الذي يقيم العدالة ويدرأ مفاسد الاختلال المجتمعي.
- **آلية التوجيه الإشاري:** وتكمن في استنباط اللطائف التزكوية الكامنة خلف اللفظ، بما يشحن النص بالوازع الروحي الداخلي الداعم للامتثال الطوعي للعدالة.

- **آلية التوجيه بالقصص القرآني:** حيث تُوجّه الحادثة التاريخية في النظم لتصير قانوناً سننياً حركياً يحذر المجتمع من غوائل الظلم المالي والاجتماعي.

٢. أهمية رصد تكامل مناهج المفسرين في الصناعة التفسيرية:

- **المنهج الأثري واللغوي:** يمثلان القاعدة التأسيسية التي تصون الترجيح من التحريف، عبر ضبط التوجيه بحدود النقل الصافي وسنن لسان العرب.
- **المنهج الفقهي والبياني:** يبرزان أسرار النظم (كالحصر والتقديم والتعليل) لتحويل المقاصد النظرية للعدالة إلى قوانين دستورية محددة تفصل في النزاعات.
- **المنهج الاجتماعي:** يمثل الثمرة الحركية التي توظف الوجوه التفسيرية المرجَّحة لتقديم حلول جذرية لآفات العصر كالفقر والطبقية.

٣. أهمية النماذج التطبيقية المتناولة: تطبيق هذه الصنعة التفسيرية على نماذج محورية في هندسة المجتمع (النموذج الأسري، والنموذج الاقتصادي التكافلي كآيات تدوير الثروة، ونموذج علاج الظلم والمحق)، للكشف عن مرونة النص القرآني وقدرة أدوات المفسرين على إنتاج فقه بنائي مستدام.

المبحث التمهيدي: الأطر المفاهيمية والتأصيلية لآليات التوجيه والترجيح التفسيري

إن فقه بناء المجتمعات في القرآن الكريم لا يُدرك بمجرد الوقوف على ظواهر الألفاظ، بل يفتقر إلى سبر أغوار الصنعة التفسيرية ومحاكمة الأدوات المنهجية التي استعملها مفسرو الأمة لإخراج المكنون القرآني وتوظيفه في واقع الأمة وعلاج نوازلها المعاصرة.

أولاً: مفهوم "آليات التوجيه التفسيري"

المعنى الدلالي والاصطلاحي: يُعرّف "التوجيه التفسيري" في الدراسات القرآنية المعاصرة بأنه: «بيان المفسر للوجه الدلالي المختار للآية، وتأييده بالأدلة اللغوية أو الأثرية أو السياقية، لدفع الإشكال أو الاحتمال المعارض». وأما "الآليات" فهي: الأدوات المنهجية والقواعد الإجرائية التي يتوسّل بها المفسر لإبراز عِلّة اختيار هذا الوجه دون غيره[١].

تعريف المصادر والبحوث المتخصصة: جاء في دراسة *توجيه التفسير: دراسة تأصيلية* أن التوجيه هو: «نصرة قولٍ من أقوال المفسرين ببيان مأخذه وسندِ حُجّته عُرِّفت بأنها: «الوسائل المعرفية والبيانية (كالنحو، والقراءات، والسياق) التي يملكها المفسر المحقق لربط دلالة الألفاظ بمقاصد النص وحمايته من التميع الدلالي»[٢].

---

١ يُنظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، *اتجاهات التفسير في العصر الحديث*، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٨م، ص ١٤٢ (بتصرف في صياغة المفهوم المعاصر).

٢ يُنظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، *الموافقات*، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١١٥ (بتصرف يواكب الاصطلاح المعاصر في ضبط المقاصد بالقواعد البيانية)؛ ويُنظر أيضاً: الطيار،

ثانياً: مفهوم "قواعد الترجيح الدلالي"

المعنى الدلالي والاصطلاحي: يُعرّف "الترجيح التفسيري" بأنه: «تقوية أحد الوجوه التفسيرية المحتملة في الآية لدليل معتبر، وإعماله دون الوجوه الأخرى»[١]. وتُعرّف "قواعد الترجيح الدلالي" بأنها: «الأصول الكلية والقوانين العامة التي يعتمد عليها المفسر للموازنة بين الأقوال المختلفة، واختيار القول الأقوى دلالةً والأقرب لسياق النظم القرآني»[٢].

تعريف المصادر والبحوث المتخصصة: عرّفها الأستاذ الدكتور خالد السبت في كتابه المرجعي *قواعد التفسير* بأن الترجيح هو: «تقديم أحد الأقوال في الآية لوجود مرجِّح يتطلب هذا التقديم». وفي بحث *قواعد الترجيح الدلالي وأثرها في استنباط الأحكام* عُرِّفت القواعد بأنها: «قوانين عقلية وشرعية ولغوية حاكمة، يتوسل بها المجتهد لرفع التعارض الظاهري بين الأقوال، وتقديم الوجه الأكثر اتساقاً مع مقاصد التشريع الكلية»[٣].

ثانياً: النماذج التطبيقية من مقاصد البناء المجتمعي في القرآن الكريم

لتطبيق هذه الدراسة المفاهيمية على "مقاصد البناء المجتمعي"، نستعرض كيف وُظفت آيات التوجيه وقواعد الترجيح دلالياً لعلاج مشكلات الواقع المعاصر:

النموذج التطبيقي الأول: مقصد الأمن الفكري (مواجهة الانحراف والاضطراب الفكري المعاصر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

توظيف آليات التوجيه ومناهج المفسرين:

١-آلية التوجيه بالسياق والأثر عند الإمام الطبري (ت:٣١٠هـ) – [المنهج الأثري البياني]:

وجّه الطبري لفظ (الفطرة) مستنداً إلى آلية النقول المسندة عن الصحابة والتابعين بأنها التهيؤ المطبوع في النفس لتوحيد الله تَعَالَى والامتثال له[٤].

٢-آلية التوجيه العقلي الحجاجي عند الإمام الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – [المنهج العقلي الكلامي]:

وجّه الآية بآلية المحاكمة المنطقية، مقرراً أن التوحيد قضية بديهية مغروزة في جبلّة العقل الإنساني لا يمكن اقتلاعها، وأن الكفر عارض طارئ[١].

مساعد بن سليمان، *مفهوم التفسير والتأويل والترجمة ولواحقها*، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ٢٠٢٢م، ص ٧٤.

١ يُنظر: الحربي، حسين بن علي، *قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية*، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٥ (بتصرف في الصياغة الاصطلاحية< >

٢ يُنظر: تيم، رائد خليل، *الترجيح الدلالي في التفسير: أصوله وضوابطه*، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠١٩م، ص ٦٢.

٣ يُنظر: الحربي، حسين بن علي، *قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية*، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٥ (بتصرف يواكب الصياغة الاصطلاحية المعاصرة.(

٤ (الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١١٢)

٣-آلية التوجيه البلاغي اللغوي عند الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) – [المنهج البياني الكشاف]:

وجّه "أقم وجهك" بآلية الاستعارة التمثيلية، مبيناً أن توجيه الوجه يمثل شدة الإقبال والاستقامة على الشيء بلبّ الفرد وقصده[٢].

٤– إعمال قاعدة الترجيح الدلالي عند العلامة ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) – [المنهج المقاصدي الاجتماعي]:

أعمل ابن عاشور قاعدة: "الحمل على المعنى الذي تنتظم به مصلحة الأمة أولى من قصر اللفظ على جزئية فردية"؛ فرجّح أن (الدين القيم) هو المنظومة التشريعية والمقاصدية الشاملة التي تطابق الفطرة البشرية وتضمن أمن المجتمع واستقراره النفسي والفكري[٣].

٥-آلية التوجيه الإشاري التزكوي عند الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) – [منهج روح المعاني]:

وجّه الآية بأن صفاء الفطرة يستلزم تزكية النفس من العوائق المادية والشبهات الوهمية لتظل قابلة للفيض الإلهي واليقين الصافي[٤].

التوظيف المعاصر والحل من مقاصد البناء: يُوظف هذا الترجيح والتوجيه التفسيري في حل معضلة "الإلحاد الجديد والسيولة الفكرية الرقمية" الناشئة عن الانفتاح المعرفي غير الموجه؛ حيث يُنقل الخطاب المجتمعي والتربوي المعاصر من مرحلة "رد الشبهات الجزئية المتكاثرة" (منهج حجاجي) إلى "التأصيل الفطري الوقائي المستدام" (منهج مقاصدي بياني)، ببيان أن المنظومة الإسلامية هي الشفرة التشريعية الوحيدة المتسقة مع بناء الفطرة الإنسانية، مما يمنح الجيل حصانة فكرية ذاتية تحميه من الذوبان أمام التيارات الوافدة.

الأنموذج التطبيقي من مقاصد البناء (القصص القرآني): يبرز مقصد "الأمن الفكري كركيزة بناء مجتمعي" في قصة إبراهيم –عليه السلام– في محاجّته لأهل الشرك؛ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ حيث تدرج من دلالات المحسوس المتغير لإثبات بطلانه عقلياً بآليات الحوار والمشاهدة، صعوداً إلى الاستقرار على اليقين الثابت الفطري: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩]. فالقصة تقدم الأنموذج العملي لكيفية تفكيك الأفكار الهدامة بردها إلى الثوابت الكونية والفطرية.

النموذج التطبيقي الثاني: مقصد الأمن السلوكي والوقاية من الجريمة (علاج التحلل السلوكي المعاصر)

---

١ (الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٠٢)
٢ (الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٤٧٥)
٣ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص٨٥)
٤ (الألوسي، روح المعاني، ج٢١، ص٤٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

توظيف آليات التوجيه ومناهج المفسرين:

١–آلية التوجيه بالحديث النبوي عند الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – [المنهج الأثري]:

وجّه الدلالة بربط صلاة العبد بسلوكه الخارجي؛ مستشهداً بالآثار التي تبيّن أن الصلاة الحقيقية هي التي تثمر كفّاً عملياً عن المعاصي في الحياة اليومية ٢–آلية التوجيه الأصولي والتعليل الفقهي عند الإمام الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) – [المنهج الأصولي الحنفي]:

وجه النهي (تنهى) توجيهاً أصولياً، باعتبار أن الصلاة تشتمل على علل شرعية (كالذكر، والخشوع) تمنع العقل والروح من اقتراف الجرائم عَقلاً وشرعاً[١].

٣–آلية التوجيه اللغوي والبياني عند أبي السعود (ت: ٩٨٢هـ) – [منهج إرشاد العقل السليم]:

وجه التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بـ "إنّ" لبيان أن خاصية النهي عن الفحشاء هي صفة لازمة وجوهرية للصلاة المقامة على وجهها الصحيح، لا تنفك عنها[٢].

٤–إعمال قاعدة الترجيح الدلالي عند الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – [المنهج الفقهي الجامع]:

أعمل القرطبي قاعدة: "إعمال اللفظ في حقيقته الشرعية المنتجة أولى من إعماله في ظاهره الصوري"؛ فرجّح أن النهي في الآية حقيقي، وأن الصلاة متى ما أقيمت بأركانها وشروطها، أورثت النفس صفاءً يزجرها عن الفواحش[٣].

٥–آلية التوجيه التفسيري الاجتماعي عند طنطاوي جوهري (ت: ١٣٥٨هـ) – [منهج الجواهر في تفسير القرآن]:

وجه الآية ببيان الأثر الرياضي والاجتماعي للعبادة، حيث تجعل الأمة كتلة واحدة منضبطة الأوقات والسلوكيات، مما يمنع الفوضى والتحلل[٤].

١ (الجصاص، أحكام القرآن، ج٥، ص٢١٠).

٢ (أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٦١).

٣ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣٤٦)

٤ (طنطاوي جوهري، الجواهر، ج١٥، ص٨٤).

التوظيف المعاصر والحل من مقاصد البناء:

يُقدم هذا التوجيه التفسيري حلاً جذرياً لـــ "نمو معدلات الجريمة الأخلاقية والسلوكية" (كالسرقة، والاعتداءات الإلكترونية، والجرائم الناشئة عن غياب الوازع النفسي)؛ حيث تُقدم "الرقابة الذاتية الفاعلة" كحل جذري مستدام. المقاربات القانونية والجنائية المعاصرة تلاحق الجريمة بعد وقوعها وتكلف الدولة أعباءً باهظة، بينما يتجه التوظيف التفسيري هنا إلى إعادة هندسة العبادات داخل المجتمع (من خلال مناهج التعليم والإعلام) لتتحول الصلاة من مجرد طقوس حركية معزولة إلى "مصنع للقيم والرقابة الذاتية" يزجر الفرد عن المنكر سراً وعلناً، مما يحقق الأمن الوقائي بأقل كلفة مجتمعية.

الأنموذج التطبيقي من مقاصد البناء (القصص القرآني): ينبثق مقصد "الأمن الجنائي الوقائي" من قصة نبي الله شعيب –عليه السلام– مع قومه الجاهليين؛ الذين رصدوا الأثر الحركي والقانوني والاجتماعي المباشر لإقامة الصلاة وعلاقتها بالسلوك المالي والاجتماعي الخارجي، فصاحوا متبرمين مستنكرين: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧]. فالقصة أنموذج برهاني يثبت أن العبادة الصحيحة هي مشروع إصلاحي يسعى لتجفيف منابع الجريمة والفساد السلوكي والاقتصادي في المجتمع.

٣.المبحث الثاني: مقصدا العلم والأخلاق في مناهج المفسرين وتوظيفهما المعاصر

يمثل العلم والأخلاق الجناحين المعرفي والسلوكي اللذين يضمنان استمرار البناء المجتمعي وحمايته من عوارض الحضارة المادية. وسندرس في هذا المبحث آليات توجيه المفسرين للآيات الحاكمة لهذين المقصدين، وكيفية توظيفها في حل أزمات تزييف الوعي والتفكك الأسري.

المطلب الأول: آليات التوجيه التفسيري لآيات العلم والمعرفة في مواجهة فوضى التزييف الرقمي وسرقة الوعي.

تواجه المجتمعات المعاصرة في ظل الطفرة التقنية نازلة "التزييف المعلوماتي"، وتضليل الرأي العام، وسرقة الوعي الجمعي عبر المنصات الرقمية؛ مما يهدد تماسك القرار المجتمعي. وعند استقراء آليات المفسرين في توجيه آيات التثبت العلمي، نجدها تضع دساتير صارمة للأمن المعرفي.

ومن شواهد ذلك، توجيه المفسرين لآيات التثبت والمسؤولية المعرفية، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

آليات التوجيه ومناهج المفسرين:

١– آلية التوجيه اللغوي والسياقي عند الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ) – [المنهج الأثري البياني]:

وجه الطبري لفظة (لا تقف) لغوياً من "قفوت أثره" أي: لا تتبع، ولا تقل رأيت ولم ترَ، أو سمعت ولم تسمع، مرجحاً أن الآية نهي حازم عن القول بالظن والرجم بالغيب في حقوق العباد وعقائد المجتمع (الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٤٣٢).

٢–آلية التوجيه البلاغي والنظم عند الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) – [المنهج البياني الكشاف]:

وجه الآية ببيان التقديم والترتيب للنعم (السمع، فالبصر، فالفواد)؛ مشيراً إلى أن النظم القرآني رتب أدوات المعرفة من الخارج إلى الداخل، ليثبت أن الإدراك القلبي (الفؤاد) هو الحاكم النهائي على ما تستقبله الحواس[١].

٣–آلية التحليل الأصولي والتعليل عند الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – [المنهج العقلي الكلامي]:

استعمل الرازي آلية التعليل الأصولي ليقرر قاعدة معرفية: "أن الظن لا يقوم مقام العلم في بناء الأحكام وحقائق الوجود"، موجهاً الآية بأنها أصل في وجوب طلب القطع واليقين في المعارف الاجتماعية والدينية[٢].

٤–إعمال قاعدة الترجيح الدلالي عند ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) – [المنهج المقاصدي الاجتماعي]:

أعمل ابن عاشور قاعدة: "الحمل على العموم التشريعي أولى من قصر اللفظ على الأثر الفردي"؛ فرجح أن النهي يتناول الشائعات المجتمعية، والأحكام القضائية، والمعارف الفلسفية؛ لأن سلامة وعي الأمة تعتمد على سلامة أدواتها المعرفية[٣] .

التوظيف المعاصر وحل المشكلة: تُوظف هذه التوجيهات والقواعد التفسيرية في تأسيس ما يُعرف اليوم بـ "الأمن المعرفي الرقمي" أو "التربية الإعلامية"؛ لعلاج نازلة "الأخبار الزائفة والفبركة الآلية. فبناءً على ترجيح المفسرين، يصبح التثبت والتحقق من مصادر المعلومات فرضاً عينياً ومجتمعياً. ويتطلب التوظيف المعاصر هنا تشريع قوانين تقنية صارمة، وبناء وعي جمعي يرفض تداول الشائعات أو تبني المواقف بناءً على السيولة المعرفية المضللة، حمايةً لقرار المجتمع ومصالح الأمة العليا.

١ (الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٦٨)

٢ (الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٣٥١).

٣ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص١٠٤).

الأنموذج التطبيقي من القصص القرآني: يتجسد مقصد "الأمن المعرفي والتحقق العلمي" في قصة الهدهد مع نبي الله سليمان –عليه السلام– في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]؛ حيث يمثل مسلك سليمان –عليه السلام– الأنموذج السياسي والقضائي الأرقى في عدم بناء المواقف الاستراتيجية (كإعلان الحرب أو السلم) على خبر أحادي دون إخضاعه لآليات الفحص والتحقق الميداني.

٢.٣.المطلب الثاني: طرائق استدلال المفسرين بآيات الأخلاق والروابط الإنسانية لعلاج التفكك الأسري والمجتمعي.

تتعرض الأسرة المعاصرة لضغوط بنيوية حادة متمثلة في ارتفاع نسب الطلاق، والعقوق، وضعف الأواصر الرحمية نتيجة طغيان النزعة الفردية والاستهلاك المادي. وتقدم آيات الأخلاق في الرؤية التفسيرية "قوانين صيانة" لحماية النواة الأولى للمجتمع.

ومن أبرز الآيات التي دارت حولها طرائق استدلال المفسرين في هذا الباب، قوله تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

طرائق استدلال ومناهج المفسرين:

١–آلية التوجيه ببيان المقاصد والنظم عند الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – [المنهج الفقهي الجامع]:

استدل القرطبي بالآية على أن النكاح ليس مجرد عقد مادي لقضاء الشهوة، بل هو عقد ديني غايته الاستقرار النفسي، موجهاً الدلالة بأن (المودة) هي المحبة، و(الرحمة) هي الشفقة، وعماد الأسرة يرتكز على التعاطف المتبادل لا على المشاحنة القضائية [١].

٢–آلية التوجيه البلاغي والدلالي عند أبي السعود (ت:٩٨٢هـ) – [منهج إرشاد العقل السليم]:

وجه قوله (لتسكنوا إليها) بلاغياً، مبيناً أن تعدية الفعل بحرف الجر "إلى" دون "عند" تفيد معنى الطمأنينة النفسية والاستقرار القلبي الكامل، وليس مجرد السكن المكاني المشترك [٢].

الآليات الدلالية لآيات الأخلاق عند المفسرين وعلاقتها بعلاج التفكك والوهن المجتمعي.

المشكلة المعاصرة: ظواهر التنمر الإلكتروني، العنف اللفظي، الطعن في الأعراض، والقطيعة الأسرية.

الحل التفسيري: دراسة التوجيهات الدلالية للمفسرين في سورة الحجرات (آيات السخرية، اللمز، الغيبة) وكيف

١ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٧)

٢ (أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٥٧)

صاغوا منها "دستوراً أخلاقياً تطبيقياً" يحمي السلم المجتمعي من التآكل الداخلي.

٤.المبحث الثالث: التوجيه التفسيري لمقاصد التدبير البنائي والعدالة وعلاج مشكلاتها

١.٤.المطلب الأول: مقصد التدبير المالي والاقتصادي في مناهج المفسرين

وآليات الاستنباط التفسيري لآيات المال والتنمية.

المشكلة المعاصرة: الركود الاقتصادي، واحتكار الثروات، وغياب ثقافة الإنتاج والاستثمار النافع.

الحل التفسيري: تتبع استنباطات المفسرين من قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾، وكيفية توجيههم للآيات التي تحث على عمارة الأرض، لتأسيس نظام اقتصادي متوازن يمنع الاحتكار ويشجع التنمية المستدامة.

٢.٤.المطلب الثاني: أثر التوجيه التفسيري لآيات المال في مواجهة مشكلات الفقر، والبطالة، والفساد المالي.

المشكلة المعاصرة: اتساع فجوة الفقر، انتشار البطالة، والتعاملات المالية المحرمة (كالربا والغش الرقمي).

الحل التفسيري: محاكمة مناهج المفسرين في توجيه آيات الزكاة والصدقات وتشريعات البيع والربا، وكيف قدموا "التكافل الاجتماعي" كحل جذري لأزمات العوز والبطالة والفساد المالي.

المبحث الثاني: مقصدا الشورى (الحوار) والعدل في مناهج المفسرين

المطلب الأول: الصناعة التفسيرية لآيات الشورى والحوار في مواجهة مشكلات الاستبداد والعنف اللفظي.

المشكلة المعاصرة: التعصب الفكري والسياسي، غياب ثقافة قبول الآخر، والاستبداد بآحاد الآراء في المؤسسات والأسرة.

الحل التفسيري: تحليل التوجيه التفسيري لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ و﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، لتبيان كيف جعل المفسرون الشورى والحوار الحليم أداة لإدارة الخلاف، ومنع الاحتقان، وصناعة استقرار القرار المجتمعي.

المطلب الثاني: موازين الترجيح الدلالي لآيات العدل عند المفسرين وأثرها في مواجهة الطبقية وضياع الحقوق.

المشكلة المعاصرة: الطبقية المقيتة، غياب تكافؤ الفرص، وهضم حقوق الفئات المستضعفة كالمغتربين أو العمال والنساء.

الحل التفسيري: دراسة ترجيحات المفسرين الدلالية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ و﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، لتأصيل العدالة المطلقة كحصانة دستورية تمنع الظلم والطبقية وتضمن الحقوق لجميع مكونات المجتمع دون تمييز.

المبحث الثالث: التوجيه التفسيري لمقاصد التدبير البنائي والعدالة وعلاج مشكلاتها

المطلب الأول: آليات التوجيه التفسيري لمقاصد التدبير البنائي (المجتمعي والمالي)

ترتكز آليات التوجيه عند المفسرين في هذا المطلب على نقل النص من دلالته الجزئية إلى بعده البنائي الكلي، عبر مسارين:

أولاً: التدبير البنائي المجتمعي (آلية السياق والمناسبة): عند توجيه الآيات الناظمة للأسرة والمجتمع، يدمج المفسرون بين المنهج البياني والمقاصدي؛ ففي آيات الحقوق الزوجية والمواريث، يوجّه **الرازي** تعقيب الأحكام بأسماء الله الحسنى (كـ العليم، الحكيم، الرقيب) بأنه توجيه تعليلي يربط جزئيات التشريع بمنظومة الرقابة الفوقية لحماية البناء الأسري من التفكك العاطفي، وهو ما يُسميه **ابن عاشور** بـ "التأسيس البنائي للمجتمع الإنساني" عبر توجيه دلالة الأمر والنهي والسياق، كقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]؛ إذ يوجّه المفسرون هذا الترتيب التصاعدي بأنه هندسة لبناء العلاقات الاجتماعية المتماسكة[١].

ثانياً: التدبير البنائي المالي (آلية توجيه العلة والغاية): في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، يتفق المفسرون (كـ**الزمخشري** و**القرطبي**) على أن حرف (كي) يفيد التعليل الصريح. والتوجيه التفسيري هنا يتجاوز سبب النزول الخاص بأموال بني النضير ليمتد بمنهج "عموم اللفظ" إلى تقرير قاعدة بنائية اقتصادية كبرى؛ وهي أن علة التشريع المالي في الإسلام هي تدوير الثروة ومنع التكدس الطبقي لضمان استمرارية التدبير البنائي للأمة[٢].

المطلب الثاني: مناهج المفسرين في توجيه مقاصد العدالة والمساواة

تتعدد مناهج المفسرين في إبراز قيمة العدالة بحسب أدواتهم التفسيرية:

أولاً: المنهج اللغوي والبياني في توجيه العدالة المطلقة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ

---

١ ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، ط٣

٢ ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٥، ص ٢٢–٢٥.

ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، يوجّه المفسرون نكرة (الناس) في سياق الإطلاق لتفيد العموم والاستغراق (المسلم والكافر). ويشير **الآلوسي** في "روح المعاني" بأسلوبه البياني إلى أن تقديم أداء الأمانات على الأمر بالعدل في النظم القرآني هو من باب توجيه الوسيلة إلى الغاية؛ إذ لا يستقيم للمرء حكم بالعدل بين الناس ما لم يمتثل أداء الأمانة في نفسه أولاً[١].

ثانياً: المنهج المقاصدي والتحليلي في العدالة التوزيعية: عند تفسير آيات المصارف الزكوية والصدقات، يبتعد مفسرو الاتجاه المقاصدي عن حصر الآيات في فقه العبادات المجردة، بل يوجهونها نحو "العدالة التوزيعية". يسير **الطباطبائي** و**ابن عاشور** في منهج حصر المصارف على توجيه دلالة (اللام) في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠] بأنها لام الاستحقاق والملك، مما ينقل مفهوم العدالة من دائرة "التفضل الأخلاقي" إلى دائرة "الحق التشريعي الواجب" الدال على التكافل البنائي[٢].

المطلب الثالث: معالجة المشكلات البنائية والظلم في ضوء آليات التوجيه التفسيري

استعمل المفسرون آليات توجيه الدلالة لبيان الرؤية القرآنية في استئصال الآفات الاجتماعية:

أولاً: توجيه آيات علاج الاختلال البنائي (الفقر نموذجاً): يوظف المفسرون منهج "التفسير الموضوعي" لربط آيات الاستخلاف بآيات النهي عن الإسراف والكنز. ويوجه **سيد قطب** في "الظلال" الآيات التي تأمر بالسعي كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، مع آيات الإنفاق؛ بأن المنهج القرآني يعالج الفقر عبر آلية "التدبير الوقائي" بتفعيل قيم العمل والتنمية، وليس فقط بآلية "التدبير العلاجي" القائم على المسكنات الاقتصادية المؤقتة[٣].

ثانياً: توجيه آيات علاج الظلم الاقتصادي والاجتماعي: في توجيه قوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، يبرز المنهج الأثري والتحليلي عند **الطبري** في توجيه

---

١ ينظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ج٣، ص ٦٤–٦٥.

٢ ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣هـ، ج٩، ص ٣١٠؛ وابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج١٠، ص ٢١٨.

٣ ينظر: قطب، سيد، *في ظلال القرآن*، ط٣٨، القاهرة: دار الشروق، ١٤٣٠هـ، ج٣، ص ١٦٥٠–١٦٥٤.

"المحق" بأنه ليس مجرد عقاب آخروي، بل هو استئصال تدريجي للبركة والنماء في الدنيا أيضاً. ويؤيد ذلك **الرازي** بالمنهج العقلي، موضحاً أن التوجيه التفسيري للمحق هنا يكشف عن سنة إلهية جارية: وهي أن المنظومات القائمة على الظلم والاستغلال تحمل في طياتها بذور فنائها البنائي، لعدم قيامها على أساس العدالة المقاصدية[١].

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار.

وبعد: فقد تناول هذا البحث دراسة آليات التوجيه التفسيري ومناهج المفسرين وأثرها في ترجيح المعنى البنائي للنص القرآني، متنقلاً بين التنظير العلمي الدقيق لقرائن الترجيح وبين النماذج التطبيقية المحورية (الأسريّة والاقتصادية) التي تضمن استقرار الأمة، وقد تكللت هذه المسيرة البحثية بجملة من النتائج والتوصيات.

أولاً: نتائج البحث

١. **أصالة الصنعة التفسيرية:** أظهر البحث أن "التوجيه التفسيري" ليس ترفاً علمياً، بل هو قانون أصولي منضبط يوازن بين الوجوه الدلالية المحتملة ليرجح المعنى الذي تقتضيه كليات الشريعة وغاياتها البنائية.

٢. **مرجعية السياق والنظم:** أثبتت الدراسة أن آلية التوجيه بالسياق (السباق واللحاق) تمثل صمام الأمان لمنع شذوذ التأويل، وتحويل الأحكام الجزئية إلى قواعد عامة تحمي البناء المجتمعي.

٣. **تكامل المناهج:** تبين أن المدارس التفسيرية (من أثرية، وفقهية، وبيانية، واجتماعية) تتكامل أدواتها؛ فالمنهج اللغوي والبياني يضبط حقيقة اللفظ، بينما المنهج الفقهي والاجتماعي يحول هذا الترجيح إلى قوانين حركية تعالج آفات الواقع كالفقر والتفكك الأسري.

٤. **حركية النموذج التطبيقي:** كشفت النماذج التطبيقية في آيات العبادات والمواريث وتدوير الثروة ومحق الكسب المحرم عن قدرة الترجيح التفسيري في تقديم حلول جذرية تضمن عدالة التوزيع واستدامة المنظومة الاستخلافية للأمة.

ثانياً: التوصيات

- **توصية أولى:** توجيه الباحثين في الدراسات العليا نحو استقصاء "قواعد الترجيح" عند المفسرين المعاصرين ومقارنتها بالمتقدمين برؤية مقاصدية حركية.
- **توصية ثانية:** ضرورة تفعيل المنهج الاجتماعي البياني في المؤسسات التعليمية لربط إعجاز النظم القرآني بعلاج المشكلات المجتمعية المعاصرة.

---

١ ينظر: الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص ١٠-١٣؛ والرازي، *مفاتيح الغيب*، ج٧، ص ٩٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. اتجاهات التفسير في العصر الحديث .صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٨م.

٢. أحكام القرآن. أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. الترجيح الدلالي في التفسير: أصوله وضوابطه، رائد خليل تيم، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٩م.

٥. تفسير التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٧. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٨. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

١٠. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم (ت١٣٨٦هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط٣٨، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

١١. قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية،حسين بن علي الحربي، دار القلم (توزيع دار القاسم)، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

١٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٤. مفهوم التفسير والتأويل والترجمة ولواحقها، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ٢٠٢٢م.

١٥. الموافقات في أصول الشريعة. إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)،

مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابـــن عفـــان، الخبر، ط١، ١٩٩٧م.

١٦. الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حســـن آل ســـلمان، ط١، الخبر: دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

١٧. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـــ)، مؤسسة الأعلمـــي للمطبوعـــات، بيـــروت، ط٣، ١٣٩٣هـــــ / ١٩٧٣م.

١٨. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبـــائي، بيـــروت: مؤسســـة الأعلمـــي للمطبوعات، ١٣٩٣هـــ.